مصطلحاتٌ آثارية دراسة في الدلالة والاستعمال

عمر جسام فاضل(*)

تاريخ التقديم: ٢٠٢٢/١١/٢٠ تاريخ المراجعة: ٢٠٢٢/١٢/٢٧

تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١/٤ تاريخ النشر الالكتروني: ٢٠٢٤/١/١

الملخص:

يستعمل الباحثون والمختصون الكثير من المصطلحات، الوصفية أو التعريفية، في توصيف بعض الأماكن والعصور الزمنية والأقوام والأنظمة والأفعال الإنسانية القديمة وتسميتها فضلاً عن المصطلحات التي يستعملها المختصون في العمل الآثاري الميداني التطبيقي في الحقل أو الموقع الأثري، للدلالة على أي نشاطٍ ودراسةٍ أو مادةٍ ضمن حقل الدراسات الأكاديمية لتخصصات علوم الآثار والتأريخ والحضارة، وهذا الاستعمال الاصطلاحي قد يخفق أَحياناً في دقة دلالاته ضمن السياق المعرفي المختص؛ إذ شُخصّت حالات كثيرة، في العديد من الدراسات والبحوث المختصة من حيث عدم صواب استعمال بعض المصطلحات والتسميات الآثارية، في اللغة العربية بالتحديد، واستعمالها في غير دلالاتها العلمية الآثارية وحتى المنطقية، ضمن المنظومة المفهومية المعرفية القطاعية الخاصة بهذه العلوم، وتهدف الدراسة إلى تصحيح طريقة استعمال المصطلحات والتسميات الآثارية، وإيجاد ما يشبه الدليل في كيفية وموضع استعمالها بما يخدم دلالاتها الصحيحة المعروفة ضمن حقول هذه التخصصات.

الكلمات المفتاحية:مصطلحات، آثارية، دراسة، دلالة، استعمال، وصفية.

(*)مدرس دكتور/ قسم الاثار/ كلية الآثار/ جامعة الموصل

E-Mail: omar.jassam@uomosul.edu.iq

ORCID: 0000-0002-0194-0526

Archaeological Terms: A Study in Semantics and Usage

Omar Jassam Fathel(*)

Received Date: 20/11/2022 Reviewed Date: 27/12/2022

Accepted Date: 4/1/2023 Available Online: 1/1/2024

Abstract:

Researchers and specialists use many terms in Arabic to describe some places, time, periods, peoples, systems, interactions and ancient human actions. As well as terms that denote applied field archaeological work in the archaeological field or site; To indicate any activity, study, or subject within the academic studies of the disciplines of archeology, history and civilization. This idiomatic use may sometimes fail in the accuracy of its connotations within the specialized cognitive context; many cases have been diagnosed, in many specialized studies and research, in terms of the incorrect use of some archaeological terms in the Arabic language and their use in other than its scientific, archaeological and even logical connotations within the conceptual system of sectoral knowledge of archaeology, history and civilization. The study aims at the correct use of archaeological terms, in archaeological, historical and civilizational studies and research, specifically in the Arabic language, and setting something similar to the concept of guide in how to use them to serve their correct connotations known within the fields of these disciplines.

Keywords: Terminology, Archaeology, Study, Connotation, Usage, Descriptive.

(*)Department of Archeology/College of Archeology/University of Mosul

مقدمة:

ضمن الدراسات الأكاديمية لتخصصات علوم الآثار والتاريخ والحضارة، وغيرها من التخصصات والعلوم المناظرة والداعمة، يستعمل الباحثون والمختصون الكثير من المصطلحات الوصفية أو التعريفية، للدلالة على نشاطٍ ودراسةٍ أو مادةٍ تدل على أثرية الشيء وقيمته الحضارية والثقافية والتأريخية أو للدلالة على الفعل الداخل في نشاطات ودراسات علم الآثار بتخصصاته المتنوعة؛ إذ يتم استعمال بعض المصطلحات في توصيف وتسمية بعض الأماكن والعصور الزمنية والأقوام والأفعال الإنسانية القديمة؛ فضلاً عن استعمال المصطلحات الدالة على أفعال العمل الآثاري الميداني–التطبيقي في الحقل أو الموقع الأثري والداخلة به. وهذا الاستعمال الاصطلاحي قد يخفق أحياناً في دقة دلالاته ضمن السياق المعرفي، الخاص بالمدارس الحديثة لعلم الآثار، الذي تتضمنه الدراسات والبحوث في هذه المجالات.

فلما كان أَغلب المصطلحات الآثارية، المستعملة اليوم في الدراسات العلمية الأكاديمية الآثارية، هي مصطلحات مترجمة من اللغة الإنكليزية إلى العربية؛ فقد وجب استعمال المصطلحات الداخلة في الدراسات الآثارية بدلالتها في اللغة العربية؛ التي تتماشى مع دلالتها ضمن المناهج الأكاديمية العربية، مع مراعاة أنَّ لكل مدرسة من المدارس العربية مصطلحاتها الخاصة بها؛ عليه فإنَّ هذه الدراسات يلزمها حديثاً توحيد المصطلحات المستعملة فيها، لوضع دلالاتٍ وصفيةٍ لها، تؤدي إلى الغاية الأكاديمية المقصودة حين التحليل والفهم؛ وبالدلالة التي يريد الباحث إيصالها إلى المتلقي من دون أي إرباك أو إلتباس في الفهم، ومن هنا جاءت هذه الدراسة في محاولة تصحيح الاستعمال الاصطلاحي للكلمات لتتوافق مع دلالاتها المعرفية ضمن حقول هذه العلوم.

مشكلة الدراسة:

شُخصّت حالات كثيرة في العديد من الدراسات والبحوث المختصة بعلوم الآثار والتاريخ والحضارة، سواءً أَكان على المستوى الوطني في العراق تحديداً أم على المستوى العربي بشكلٍ عام، من حيث عدم دقة استعمال بعض المصطلحات والتسميات، في اللغة العربية، واستعمالها في غير دلالاتها العلمية الآثارية وحتى المنطقية ضمن حقول هذه التخصصات، وقد ولدَّ هذا مشكلةً في الفهم العام لهذه الدراسات؛ التي باتت تحتاج لتثبيت الاستعمال الصحيح تبعاً للدلالة الدقيقة.

هدف الدراسة وأهميتها:

تهدف الدراسة إلى تصحيح طريقة استعمال المصطلحات والتسميات، التي يتم تداولها في الحقول الأكاديمية للدراسات والبحوث الآثارية والتأريخية والحضارية، بما يخدم دلالاتها الصحيحة. وذلك عن طريق وضع ما يمثل سياق تحليلي يحدد طريقة استعمال المصطلح في التوصيف والتسمية.

أنَّ عملية الاستعمال الصحيح لمدلول المصطلحات، التي ستتناول هذه الدراسة أبرز النماذج المستعملة منها، هي مميزة جداً في الدراسات والأبحاث المختصة، ولغاية توضيح الهدف العلمي والغاية المقصودة من الوصف باستعمالها؛ التي ستستند على الدلالة التي تفيد المنظومة المفهومية القطاعية[١] –المختصة– لعلم الآثار والتأريخ والحضارة ولا تعتمد على الاجتهاد الشخصي.

مع ملاحظة أنَّ هذه الدراسة ليست بدراسة لغوية نحوية للمصطلحات، بل هي دراسة عن الاستعمال الأصح والأدق لبعض المصطلحات المنتخبة الداخلة في دراسات التخصصات، المشار إليها آنفاً، وتوافقها مع دلالاتها الأكاديمية ضمن الإختصاص؛ وبمعنى آخر، يمكن عدّها توجيه وتصحيح أكاديمي لطريقة استعمال المصطلحات في الدراسات المختصة، لتتوافق مع الدلالة الصحيحة لها.

الدراسات السابقة:

كثيرةٌ هي الدراسات في علوم اللغة والاصطلاح والدلالة، وحتى الترجمة، التي تتناول منهجية تحديد المصطلحات والتسميات والمعاني والمفاهيم والألفاظ لمختلف صنوف العلوم والتخصصات والمفردات الأكاديمية العلمية، وهذه حالةٌ صحيحة التوجه في ظل التطور والتنمية لجميع البحوث والدراسات ومفاهيمها التي تساعد في الوصول للصواب والدقة وتساعد في ايصال المفهوم والمعنى؛ من أجل الابتعاد عن أي إرباك للمنظومة المفهومية بين الدلالة والاستعمال.

ففي ظل التطور الحديث للعلوم، وتخصصات اللغات والترجمة، هناك العديد من الدراسات التي حاولت وضع ما يشبه بالمعاجم اللغوية الخاصة بالحضارة والثقافة والفنون، التي تناولت تحديد مصطلحات داخلة في الحضارة والمدنية الحديثة في ظل تطورها دعماً لدراساتها باللغةِ العربية[٢]؛ لكنَّ الفرق بين تلك الدراسات وهذه الدراسة هو أنَّ دراستنا خُصصت لتحديد الاستعمال الأَصح والأدق دلالياً لبعض المصطلحات ضمن الدراسات والبحوث المنضوية تحت هذه التخصصات، أمَّا الدراسات المعجمية، فتحدد الألفاظ التي يستعملها الإنسان المتحدث باللغة العربية في حياته اليومية وتخصصاته الأكاديمية بشكلٍ أكبر[٣].

وهذه الدراسة هي خطوة أولى، أو يمكن عّدها خطوة تكميلية، لدراسات مشابهة المسار والفكرة التي تهدف إلى تصحيح وتدقيق البحوث العربية، من حيث الاستعمال الأكاديمي التخصصي الأدق والأصح للمصطلحات والتسميات، وليس في تخصص علم الآثار فحسب، بل في التخصصات الأكاديمية الأخرى، ممَّا يعزز ترتيب أوراق ومناهج المدارس العربية المحلية للتخصصات والعلوم ومحاولة توحيدها، سواء من جانب استعمال المصطلحات[٤] أم من جانب مفاهيم دلالاتها.

منهجية البحث:

ارتكزت هذه الدراسة على مناهج البحث العلمي في تناول نماذج المصطلحات المنتخبة الواردة فيها، كالمنهج المعياري، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن؛ لدعم توحيد المصطلحات الواردة وتحليلها ومقارنة وتبيان صحة ودقة استعمالها في الدراسات والبحوث، ضمن المنظومة القطاعية الأكاديمية الخاصة بعلوم الآثار والتاريخ والحضارة؛ إذ سيتم تناول المصطلحات تبعاً لاستعمالها في الدراسات العربية المختصة، ومدى توافق دلالاتها العربية الأكاديمية في موضع استعمالها، بغض النظر عن أصل هذه المصطلحات في اللغات الأجنبية؛ إذ تعالج هذه الدراسة الدلالة العربية ضمن التخصصات المحددة، حتى بعد ترجمة بعض المصطلحات ذات الأصل اللغوي الأجنبي، لتتوافق مع دلالاتها ومفهومها الداعم للتخصص الأكاديميّ في اللغة العربية.

على الرغم من أنَّ المصطلحات المتناولة في هذه الدراسة هي جزء يسير من كم كبير من المصطلحات والتسميات التي استُعملت في الدراسات والبحوث ذات الصلة، لكن عملية فهم طريقة الاستعمال الصحيح للمصطلحات والتسميات عبر الأمثلة التي ستتناولها الدراسة قد يغني عن تناول العشرات بل المئات من الأمثلة التي لا تتسع صفحات هذه الدراسة لها، وعلى الرغم من أنَّ فهم دلالات المصطلحات هي عملية معقدة تتطلب دراسة المعاني المختلفة لكل مصطلح في سياقاته اللغوية والثقافية والأكاديمية[٥]، إلاّ أنَّ منهجية هذه الدراسة ستقتصر على مناقشة دلالات المصطلحات في سياق الدراسات الأكاديمية الآثارية والحضارية؛ وسيكون السؤال الأَبرز لتناول أي مصطلح في هذه الدراسة هو: هل استعمال هذا المصطلح يؤكد دلالته الأكاديمية الآثارية في موضع استعماله أو لا؟

المصطلح ودلالاته:

يمكن توضيح معنى المصطلح (Term) بأنهَّ لفظٌ يفضي إلى مفهومٍ متفقٌ عليه، من فئة مختصة في حقلٍ معرفي أو علمٍ من العلوم، لصيغةٍ أو لتعبيرٍ أو لمعنى خاص بحد ذاتهِ، يليق بالدلالة التي يودون الانتهاء إليها[٦]. نحوياً لا يمكن فهم المصطلح من المعاني الفردية لعناصر تكوينه فحسب، إذ تؤدي الثقافة ومفهوم التخصصات دورها في طريقة تفسير المصطلح وبوجود

قاعدة ثقافية مختصة لدى مستعمل المصطلح[٧]، وفي الوقت الذي يتفق فيه اللغويون على أنَّ المصطلحات والكلمات هي جزءٌ من الألفاظ المختصة القطاعية، أي يستعملها قطاع خاص من الناطقين باللغة من تخصص واحد أو عدة تخصصات متشابهة، وهي ترتبط بهم وبتخصصاتهم في إطار المنظومة المفهومية المعبرة عن الحقل الدلالي للكلمات والمصطلحات، لكن بعض أَهل الاصطلاح يرون أنَّ للكلمة معنى وللمصطلح مفهوماً ودلالة[٨].

تنعكس أهمية المصطلحات عِبر دورها الكبير في بناء المفاهيم وتنظيمها وفق الأنماط المعرفية لكل التخصصات والعلوم؛ فالمصطلحات هي مفتاح العلوم وأداتها المعرفية[٩]، ومن دونها لا يمكننا فهم طبيعة وحقيقة المعرفة ومعطياتها المكتوبة، ولأنَّها تمثل المفاهيم المحددة الدقيقة التي تشير إلى المعنى والمفهوم العام للنص؛ ومن هنا تتأتى أهمية دورها في تبادل الأفكار بدقةٍ وموضوعية يمنع اللبس والارتباك في الفهم الدلالي، ولا يخفى على أحد أنَّ لكل علم وتخصص أكاديمي مصطلحاته الخاصة المعتمدة على منهجيته وتجاربه ودراساته وتواصل البحوث فيه؛ وبالتأكيد هي مترابطة المفهوم والدلالة، ولاسيَّما إذا ما تم استعمالها في موضعها الصحيح الدال على مفاهيمها المعرفية الدلالية بشكلٍ دقيق[١٠].

ومن الجدير بالذكر، أنَّ المصطلحات، في أحيان كثيرة، لا تبقى في موقفٍ وحالةٍ واحدة، بل أنَّها تكتسب دلالات متعددة أخُرى تتخطى ربما المعنى الأصلي الأول، في ظل ظروف التحديث والآراء والاجتهاد في الاستعمال الكتابي، فضلاً عن حركة الترجمة والنقل من لغةٍ إلى أخرى[١١]؛ لذا يقع الباحث في حيرة الاستعمال الأدق والأصح لمصطلحاته، وفق دلالات متنوعة بحسب الاختصاصات والمناهج والعلوم والآراء والمفاهيم، التي ما تلبث أنَّ تتطور وتتعدد في الاستعمال والدلالة، ويبقى السبيل لتحديد المفهوم الدلالي على عاتق القارئ الذي يرتكز على سياق الجمل ودلالاتها؛ فللسياق أهميةٌ في فهم الكلام وتحديد المعاني[١٢].

مصطلح الآثار:

يستعمل الباحثون مصطلح 'الآثار' (Antiquities)، ومفردها 'أثر'، للدلالة على كل المواد المادية الملموسة (Tangible) (المنقولة وغير المنقولة) التي لها عمر زمني قديم[١٣] ولها قيمة ثقافية استثنائية (Outstanding Universal Value)[١٤]. ويرادف هذا المصطلح في الاستعمال لدى بعض الباحثين، في اللغة العربية، العديد من المصطلحات مثل: بقايا، خرائب، أطلال، مخلفات، لقى، معاثر ...الخ؛ ودائما ما يتم استعمال هذه المصطلحات للدلالة على الآثار بنوعها المادي الملموس فقط، كالأبنية من أسوار وقلاع وقصور ومعابد أو كالآلات والأدوات الصغيرة والكبيرة فضلاً عن المنحوتات بأنواعها ...الخ؛ وبما أنَّ مصطلح الآثار يشير إلى كل ما صنعته يد الإنسان وأنتجه فكرهِ قديماً وله قيمة[١٥]، لذا ضمن المنظومة القطاعية لعلم

الآثار (Archaeology)، العلم الذي يختص بدراسة الآثار، يمكن أنَّ يتم استعمال مصطلح 'الآثار' على كل النتاج الفكري القديم للإنسان أيضاً، ولا يقتصر الأمر على نتاجه المادي الملموس فقط. فالأثر الفكري غير الملموس (Intangible) الذي أنتجه الإنسان القديم، الذي يصلنا عن طريق الفنون والآداب واللغات والعادات والتقاليد القديمة والمتوارثة، يعامل معاملة الأثر المادي الملموس، بل يكون ذا أهمية وقيمة ثقافية أكبر لدى الباحثين المختصين، وفي سياقٍ آخر فإنَّ استعمال مصطلح 'الآثار' سيكون ذا دلالةٍ أقرب للأكاديمية الخاصة بعلم الآثار بدلاً عن مصطلحات بقايا، خرائب، أطلال، مخلفات ...الخ؛ فضلاً عن استعمال مصطلح 'اللقى الأثرية' للدلالة على الآثار كافة المنقولة المكتشفة خلال التنقيبات.

مصطلحا الحفريات والتنقيبات:

من المصطلحات الداخلة في الجانب العملي الميداني الحقلي، وفي متن الدراسات الأكاديمية، لعلم الآثار مصطلحا 'الحفريات' (Digging) و'التنقيبات' (Excavations). ويقصد بها عملية شق التربة وإزاحة التراب منها والنزول بصورة عمودية من أجل استظهار أو استخراج الآثار المدفونة تحت الأرض(١٦).

على الرغم من شيوع استعمال مصطلح (حفر/ حفريات) كثيراً، في العمل الحقلي الميداني لعلم الآثار، للدلالة على العمليات الأَكاديمية المنظمة في النزول بداخل التربة لاستخراج واستظهار اللقى الأثرية، لكنَّ هذا المصطلح يكاد يكون مرتبكاً في دلالتهِ ضمن المنظومة الأكاديمية القطاعية الخاصة بعلم الآثار؛ إذ إنَّ مفهوم الحفر لا يدل ولا يعني بالضرورة على العمل المنهجي الأكاديمي المتدرج في النزول إلى التربة؛ بل يدل أكثر على الحفر أو النبش العشوائي غير المنظم(١٧)؛ وهو على العكس من المصطلحات الأكاديمية (التنقيب/ التنقيبات) التي تشير بوصفها دلالة أكاديمية وعلمية إلى نزول تدريجي ممنهج ومنتظم في التربة من أجل الوصول لهدف معين، ومنه قطع الآثار.

عليه وجب استعمال مصطلحات (التنقيب/ التنقيبات) للدلالة على الأسلوب العلمي في الجانب الميداني الحقلي لعلم الآثار، واستعمال (الحفر/ الحفريات) للدلالة على النبش العشوائي غير المنتظم وغير الرسمي، مع ملاحظة أنَّ وصف من يقوم بالتنقيبات الآثارية هو 'مُنَقّب' (Excavator).

مصطلحا الآثاري والأثري:

من أبرز المصطلحات المستعملة في اللغة العربية ضمن الدراسات العلمية والأكاديمية في تخصص علم الآثار مصطلحي (الآثاري و الأثري / للمذكر) و (الآثارية والأثرية / للمؤنث)، إذ لا يكاد أي بحث أَكاديمي في علم الآثار يخلو من استعمال هذين المصطلحين البارزين المستعملين باطِّراد؛ وعلى الرغم من تشابه هذين المصطلحين في اللغة الإنكليزية (Archaeological) من حيث الاستعمال والدلالة، إلا أنَّه من الواضح أنَّ هناك تفاوتاً كبيراً في استعمالهما وتوظيفهما في اللغة العربية من حيث المدلول والمعنى العام في سياق البحث الأَكاديمي؛ إذ إنَّ الكثير من الباحثين لا يفرق بين المدلول العلمي والتخصصي لكل مصطلح، فنقرا تارة (المواقع الآثارية) ونقرأ تارة أُخرى (المواقع الأَثرية) ونقرأ أَيضاً (التنقيبات الأَثرية)، وتارة (التنقيبات الآثارية) ...الخ، وهكذا الحال مع بقية الأسماء أو الأفعال التي توصف بالمصطلحين.

ففي الوقت الذي تكون دلالة تلك المصطلحات لتوصيف العمليات والنشاطات والدراسات التي يقوم بها المختصون في علم الآثار؛ لكن هناك تباين في دقة استعمال هذه المصطلحات وتوظيفها بشكلٍ صحيح حين إيرادها ضمن الجمل. فمثلاً يقع الكثير من الباحثين في خطأ استعمال هذه المصطلحات في توصيف النشاط الخاص بعلم الآثار أو دراساته، وعلى سبيل المثال يورد بعض الباحثين في جملهم الصيغ الآتية:

تنقيبات أثرية / صيانة أثرية / دراسات أو بحوث أثرية / سياحة أثرية / كتب أثرية ...الخ،

ويستدل من ذلك على قِدم الشيء الموصوف وكأنَّه آثار، وليس عمليات معنوية ميدانية داخلة ضمن إطار علم الآثار؛ لأنَّ الآثار تدل على شيء حصل أو أُنتجَ في القدم؛ لذا من وجهة نظرنا، يكون الصواب هو استعمال مصطلح (آثاري وآثارية) لتوصيف النشاطات والأفعال التي يقوم بها الإنسان فضلاً عن المسميات الحديثة التي يراد بها الدلالة على أنَّها ضمن حقل وتخصص علم الآثار، فوجب القول:

تنقيبات آثارية / صيانة آثارية / دراسات وبحوث آثارية / سياحة آثارية / كتب آثارية ...الخ،

لأنَّ مصطلحات (أثري/ أثرية) تدل على قدم الشيء[١٨]، سواء أكان فعلاً أو عملاً غير مادي أم شيئاً مادياً ملموساً أو تسمية، وستكون الدلالة بأنَّ الموصوف بهذا المصطلحات هو من الآثار القديمة التي لا يقل عمرها الزمني، على وفق قوانين الآثار الرسمية، عن ٢٠٠ سنة مضت[١٩]. بينما مصطلح (آثاري/ آثارية) هي توصيفات تدل على أنَّ الموصوف بها، سواء

أكان فعل أم اسم، يدخل ضمن حقل البحوث والأَعمال والنشاطات الإنسانية المتعلقة بعلم الآثار وتفرعاته.

وعليه، إنَّ عملية توصيف أي نشاط أو شيء مادي، حديث الزمن، بأنَّه أثري سيكون دلالة ذلك بالقدم الزمني له، أمَّا المصطلحات (آثاري/ آثارية) فهي الأصح في الاستعمال للدلالة على أنَّ هذه الأفعال أو الأشياء، الحديثة المعاصرة، الموصوفة بها هي من ضمن تخصص علم الآثار والعمل الحقلي الآثاري.

وإذا ما عكسنا الحالة فأنَّه لا يُستعمل المصطلح (الآثاري أو الآثارية) لوصف أي شيء أثري مادي ملموس أو غير ملموس فيه أصالة أثرية، سواءً أكان مكتشفاً أم غير مكتشف، نحو:

المواقع الآثارية/ الفخار الآثاري/ الأبنية الآثارية/ المنحوتات الآثارية/ والمدونات الآثارية ...الخ،

وإذا ما كانت هذه الأشياء والمواقع تعود في زمنها إلى عصور قديمة وعمرها الزمني أكثر من ٢٠٠ سنة، فإنَّ الأصح في الاستعمال هو مصطلحي (الأثري/ الأثرية) لتوصيفها والدلالة على أثريتها وقدمها الزمني؛ فوجب القول:

المواقع الأثرية/ الفخار الأثري/ الأبنية الأثرية/ المنحوتات الأثرية/ المدونات الأثرية ...الخ،

فاستعمال مصطلح (المواقع الآثارية) للإشارة إلى المواقع القديمة هو استعمال خاطئ وذو دلالة مرتبكة المعنى، الصواب هو (المواقع الأثرية)؛ لأن المواقع هي شيء مادي ملموس وهي تحتوي على الآثار ومن هنا تأتي أصالتها وأثريتها التي يوجب أنَّ توصف بها، بخلاف العبارة الأولى (المواقع الآثارية) التي تعني في دلالتها أنَّ المواقع هذه هي مواقع حديثة مخصصة للدراسات الأكاديمية والنشاطات الآثارية الخاصة بعلم الآثار، وليس بالضرورة أنَّ تحتوي على آثار.

مصطلحات 'التراث' 'الموروث' 'الإرث':

ازدادت العناية الدولية الحديثة في مواضيع الآثار وماضي التجربة الإنسانية والتطور الحاصل في علوم الآثار والتاريخ؛ فنتج عن ذلك ظهور تخصص أكاديمي حديث بات يعرف باللغة الإنكليزية (Cultural Heritage Managment)[٢٠] الذي تمت ترجمته باللغة العربية إلى (إدارة التراث الثقافي) وباتت هذه الترجمة هي السائدة في الوسط الأكاديمي والعلمي، وقد تكررت عبارة (التراث الثقافي) في الأوساط العلمية والعالمية كثيراً، ولاسيَّما بعد النزاعات المسلحة التي طالت العديد من المدن الغنية بموروثها الثقافي الحضاري، فبات استعمال مصطلح 'تراث'

(Heritage) للدلالة على كل أنواع الموروث الإنساني هو المعتمد؛ وذلك ما عززته المنظمات العالمية المختصة، ومنها منظمة (اليونسكو/ UNESCO)[٢١]، في استعمال المصطلح ضمن تعليماتها ومواثيقها الدولية، ولاسيما بعد ترجمتها للعربية[٢٢].

ودلالة مصطلح التراث، في تخصصات علم الآثار، قد يتجه للدلالة على الأشياء المادية، والموروثات غير المادية، التي تعود في زمنها لعصور ليست سحيقة في القدم مقارنةً بالآثار[٢٣]. كما أنَّ دلالة مصطلح التراث قد لا تعطي العمق الزمني السحيق في القدم؛ ولا تشير إلى كل النتاج الإنساني المادي وغير المادي، الفكري، المراد الإشارة إليه كما في دلالة المصطلح الإنكليزي (Heritage).

وفي الوقت الذي ليس فيه أية إشكالية في استعمال المصطلح (Heritage) ضمن المنظومة القطاعية لعلم الآثار والتأريخ والحضارة في اللغة الإنكليزية؛ لكنَّ هذا الإرباك يتشكل بعد ترجمة المصطلح، وحين الاجتهاد في توظيف دلالة استعماله في اللغة العربية؛ ولاسَّيما حين ترجمته إلى أحد المصطلحات الثلاثة: تراث، موروث وإرث.

ولحل هذا الإرباك والإشكال في الاستعمال، ولتحديد الدلالة الخاصة التي تتوافق مع المفاهيم الأكاديمية، يمكن أنَّ تُحدد أحد المصطلحات الآتية (التراث) (الموروث) (الإرث) على وفق دلالتها في اللغة العربية أولاً وبحسب دلالتها ضمن تخصص علم الآثار ثانياً؛ وكما هو آتٍ:

استناداً إلى المنظومة المفهومية القطاعية لعلم الآثار، واستناداً لقانون الآثار العراقي النافذ كمثال، فإنَّ مصطلح 'التراث' يدل على كل الأشياء المادية والموروثات الفكرية غير المادية التي يقل عمرها الزمني عن ٢٠٠ سنة، نحو: التراث الشعبي، أمَّا مصطلح 'الموروث' فتشير دلالته إلى كل ما تمت وراثته من الخلف للسلف، من القديم للحديث، وميزته الدلالية أنَّه يشير للتواصل والديمومة والاستدامة في التوريث، من الماضي للحاضر، وفيه أيضاً دلالة الاستمرارية لفعل التوارث نحو المستقبل، نحو: الموروث الثقافي أو الموروث الإنساني أو الموروث الحضاري. أمَّا مصطلح 'الإرث' فيدل على شيءٍ قد تم توريثه لكنهُ بقي على حالهِ دون استدامة أو تواصلية في التوريث؛ أي بدء من نقطة التوريث وانتهى بنقطة زمنية ومكانية لدى الوارث، نحو: الإرث العماري أو الإرث اللغوي أو الإرث الديني.

وإذا ما تُقبلت تلك الدلالة القطاعية للمصطلحات الثلاثة المشار إليها آنفاً، فسيكون من الصحيح أنَّ يتم استعمال مصطلح (موروث) للدلالة على كل نتاجات فكر الإنسان ويدهِ، فرداً كان أو جماعة، المتوارثة منذ القِدم؛ التي تحمل صفة الاستدامة والاستمرارية من الماضي نحو الحاضر وإلى المستقبل، وعلى وفق ما تقدّم، ستكون عبارة (الموروث الثقافي) بديلاً لعبارة

(التراث الثقافي) عند ترجمة (Cultural Heritage)؛ لأنَّ العبارة الإنكليزية تدلّ على كل أنواع الموروث الإنساني المادي وغير المادي، ذي القيمة الاستثنائية، ضمن حدود زمنية مفتوحة، وهذا ما ستحققه دلالةً عبارة (الموروث الثقافي) حين ترجمتها للعربية.

مصطلحات 'الثقافة' 'الحضارة' 'المدنية':

على الرغم من الفروقات الكبيرة بين دلالات مصطلحات الثقافة (Culture) والحضارة (Civilization) والمدنية (Civil)؛ لكنَّ التشابه في مفاهيمها يكاد أحياناً يعطي إرباكاً لدى الدارسين والمختصين في طريقة استعمال إحدى تلك المصطلحات للدلالة عن التجربة الإنسانية القديمة، وحتى الحديثة، سواء أَكانت فرديةً أم مجتمعةً بشكل فئاتٍ أو جماعاتٍ أو مجتمعاتٍ، وتقييمها وقياسها في أمكنةٍ وأزمنةٍ محددة[٢٤].

أنَّ 'الثقافة' مصطلح يمكن أنَّ يدل مفهومها[٢٥] على الفكر والمعرفة والعلم والتعلم الناتج عن التجربة الإنسانية، المتفاعلة المستمرة، التي تحركها وتنميها وتستديمها حاجة الإنسان لمواصلة حياتهِ ضمن محيطه الإنساني والبيئي الطبيعي، في كل الأزمان والأماكن، وهي بذلك تدل على الناحية الفكرية المعنوية غير المادية التي تعطي للإنسان، فرداً كان أم جماعة، سمات ومميزات وخصائص وأساليب وطرائق ومناهج حياتهِ عبر الزمن[٢٦]. أمَّا مصطلح 'الحضارة' فدلالتهُ تتشكل عن طريق ترجمة الثقافات في نتاجٍ، مادي كان أم معنوي، لمجموعة الخصائص، المدنية والفكرية المعرفية والعقدية والفلسفية والفنية والصناعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية، التي تتشكل منها الثقافات بمجموعها العام وتميز المجتمعات في تطورها من البدائية نحو المدنية؛ وبعبارةٍ أُخرى، فإنَّ الحضارة تمثل مجموعة ثقافات متنوعة توضح سمة حياة الإنسان بشكلٍ جمعي ومقدار تطور نتاج فكرهِ ومنجزات يديهِ وتطبيقاتهِ بشكلٍ مادي[٢٧] في حين يدل مصطلح 'المدنية' على التمدن الناتج من تطبيق مفاهيم الثقافة، غير المادية، بأساليب وتطبيقات حضارية، مادية، لتجتمع ضمن إطارٍ يظهر تطور وتقدم التجربة الإنسانية، ورّقيها وسمّوها، من حيث السكن وأسلوب العيش والتنظيم ووضع القوانين والتعليمات والحقوق المنظمةِ لحياة الإنسان وتفاعلهِ مع محيطهُ الإنساني والطبيعي[٢٨].

ومن أَمثلة الاستعمال لهذه المصطلحات بدلالاتها الموضحة آنفاً، فحين نقول: 'الثقافة السومرية' فيدل ذلك على السمات والخصائص والمميزات والقيم المعرفية والفكرية الثقافية التابعة للأقوام التي سميت بالسومريين؛ وهذا ما تكمله عبارة 'الحضارة السومرية' الدالة على التطبيق الثقافي المتطور للثقافة السومرية ومنجزاتها الملموسة؛ بينما عبارة 'المدنية السومرية' فهي بذلك تدل على الوجود المكاني والتطور والتكامل والتقدم الذي نتج عن الدمج بين الثقافة والحضارة لتسّمو إلى مصاف المدنية ضمن مدنٍ سومرية محكومة بالقوانين والأنظمة والأحكام والحقوق

المنظم لحياة الناس فيها، واستناداً إلى ذلك سيكون من الصواب استعمال كل مصطلحٍ بما يفيد من دلالةٍ حين دراسة واقع أي تجمع إنساني قديم ونتاجه.

مصطلحات 'إمبراطورية' 'مملكة' 'دولة':

من المصطلحات البارزة التي يتم استعمالها بشكلٍ كبير في الدراسات الآثارية للدلالة على النظام الإداري الذي يحكم المجتمعات القديمة وفق أنظمة سياسية، هي مصطلحات (إمبراطورية، مملكة، دولة، إمارة... الخ)، وقد مرت هذه الأنظمة بمراحل كثيرة قبل أنَّ تتخذ أشكالاً عديدة[٢٩]، ولاسيَّما في أنظمة حكم حضارات الشرق الأدنى القديمة[٣٠]، وبسبب تنوع هذه الأنظمة القديمة فقد يقع بعض الباحثين بخطأ الخلط بين تلك الأنظمة حين توصيفها، فيصار إلى استعمال توصيف امبراطورية (Empire) على نظام حكم ملكي (Monarchy)، أو توصيف أي نظام حكم بالدولة[٣١]، أو توصيف الإمارة أو حاكمية المقاطعة بالمملكة ...الخ؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر كثيراً ما يتم استعمال مصطلح 'الامبراطورية'[٣٢] للدلالة على نظام الحكم السياسي للحضارة الأكدية والآشورية والبابلية، فيقال: (الإمبراطورية الأكدية/ الإمبراطورية الآشورية/ الإمبراطورية البابلية)[٣٣]، وعلى الرغم من أنَّ هذا المصطلح اللاتيني يدلّ على التوسع المصحوب بالقوة العسكرية، والنفوذ خارج منطقة الحكم المركزي، لكنّهُ لا يتوافق في كثير من الأزمان مع نظام الحكم الذي كان نظاماً ملكياً في حضارات بلاد الرافدين، ولاسيَّما في ظل تمدد وتقلص السيطرة على الأقاليم خارج مركز الحكم بأزمان وظروف مختلفة ومتقطعة، على وفق اتفاق الكثير من الباحثين والمختصين والمعتمد على ترجمات النصوص المسمارية القديمة[٣٤]، فضلاً عن الألقاب الملكية التي وُصِفَّ بها حكام وملوك الحضارات القديمة، ومنها ملوك بلاد الرافدين، التي توضَّح الوضع السياسي السائد وقتذاك ومنه أنَّ نظام الحكم كان ملكياً، غير توسعي في بعض عصوره، بحسب الترجمات للنصوص الملكية القديمة[٣٥]، والأصح أنَّ يتم استعمال مصطلح (المملكة الأكدية، المملكة الآشورية، المملكة البابلية) دلالةً على نظام الحكم السياسي في المنطقة التي تجمعت فيها الأقوام القديمة، ومصطلح الامبراطورية في توصيف التوسع الذي فاق الحدود المركزية للحكم في زمان معين فقط؛ وبهذا الخصوص وجب أنَّ يتم استعمال المصطلح الدقيق الدال على نظام الحكم القديم المثبت على وفق الدراسات والأبحاث القديمة، وذلك لتوضيح وتوصيل ماهية نظام الإدارة والحكم السياسي الذي كان قائماً في مكان وزمان قديم محدد.

مصطلحات للزمن: 'حِقبة'، 'عصر'، 'مدة'، 'فترة':

كثيراً ما يستعمل الباحثون في كتابة بحوثهم الخاصة، بالدراسات الآثارية والحضارية والتاريخية، العديد من المصطلحات للإشارة إلى السنوات والمدد والحقب والعصور والفترات

التأريخية موضوع بحوثهم؛ لكن هناك تباين كبير في دلالات المصطلحات الدالة على الزمن المستعملة من قبلهم بوصفها مصطلحات أبرزها 'الحِقبة'، 'العصر'، 'المدة' و'الفترة'، التي يمكن أنَّ تكون تراجم للمصطلحات الأجنبية (Era, period, time, interval)، ومن المعلوم أنَّ لكل مصطلح دلالة تحدد الزمن والظرف المتعلق به.

فالحِقبة، كما تعرفها المعاجم اللغوية العربية، كلمة اصطلاحية تعني وتدل على مدة من الزمن لا وقت لها أو سنة[٣٦]؛ أو مدة طويلة من الزمن تعادل أكثر من ثمانين سنة، كما في الآية القرآنية الكريمة ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾[٣٧]، أو نحو: ''حقبة التأريخ البشري''، ''حقبة الأدب العربي''[٣٨].

أما العصر، فهو بحسب المعاجم اللغوية العربية، مدة زمنية طويلة، ربما تتكون من عشرات أو مئات السنين، وتشير إلى مرحلة من الزمن لدولة أو مملكة أو وقتاً للحكم، أو إلى تطورات اجتماعية أو طبيعية أو علمية أو سياسية؛ نحو: ''العصر الحجري القديم''، ''عصور ما قبل التأريخ''، ''العصور التأريخية''، ''العصر العباسي''، ''عصر هارون الرشيد''، ''عصر النهضة'' ...الخ[٣٩].

بينما تُعرف المعاجم اللغوية العربية، مصطلح أو كلمة (المدةَّ) بأنَّها مقدار من الزمان يقع على الكثير والقليل؛ بمعنى أنَّ دلالة المصطلح قد تُستعمل في قليل المقدار من الزمن أو كثيره[٤٠]. وقد تتشابه كلمة أو مصطلح (الفترة) مع المدة في كونها تدل وتشير إلى مقدار من الزمن المحدد أو مدة زمنية فاصلة بين شيئين أو حالتين؛ إلا أنَّ أغلب المعاجم اللغوية تشير إلى أنَّ استعمال مصطلح (مدة) قد يكون أدق وأصح، في اللغة العربية الفصيحة، لقلة ورود كلمة (فترة) في المعاجم، وتعدد المفاهيم الخاصة بهذه الكلمة، للدلالة على مقدار الزمان[٤١].

وقد يستعمل بعض الباحثين مصطلحات وصفية للزمن مثل مصطلح (العتيق) الذي يشير إلى الشيء الذي يدرك حديث جنسهِ فيكون بالنسبة إليه عتيقاً، بمعنى أنَّ العتيق هو قديم الشيء الذي يمر عليه مدة زمنية ليعاصر الحديث من الشيء نفسه، وكذلك مصطلح (القديم) وهو السابق بالزمن، بشكلٍ تام، وحدث في الماضي[٤٢].

إنَّ استعمال كل مصطلحِ، يدل على الزمان أو يشير إليه، وجب أنَّ يكون مدروساً من حيث الدلالة التي تتفق وقياس الزمن عند الدراسة وتبعاً للمنظومة المعرفية لعلوم الآثار والتأريخ والحضارة.

مصطلحات لتسميات حضارية ذات دلالات جغرافية وتأريخية:

يستعمل أغلب الباحثين العديد من المصطلحات العربية ذات الدلالات الجغرافية والتأريخية وحتى السياسية والدينية في دراساتهم، مثل (العراق القديم، بلاد الرافدين، أرض النهرين، بلاد ما بين النهرين) للإشارة والدلالة على مكان نشوء الحضارات وتفاعلها، والتي نشأت في الرقعة الجغرافية التي تعرف اليوم بجمهورية العراق، بحدوده السياسية المرسومة بعد أحداث الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٧م[٤٣].

ويُلاحظ في الدراسات المختصة المعاصرة اليوم، استعمال مصطلح 'العراق القديم' كثيراً للدلالة على الحضارات التي نشأت وتفاعلت على أرض دولة العراق بحدودها السياسية الحالية. وهذا الأمر قد يحجم من الرقعة الحضارية التي امتدت إليها كل الحضارات القديمة الناشئة في منطقة بلاد الرافدين ومنها (الحضارة السومرية، والحضارة الأكدية، والحضارة الآشورية، والحضارة البابلية)؛ كما يقلص ويُحدد الامتداد الثقافي والحضاري لهذه الحضارات خارج الحدود السياسية الحالية؛ إذ كان لكل هذه الحضارات تفاعلات في رقعة جغرافية تعدت الحدود السياسية المعروفة لدولة العراق اليوم؛ فالحضارة الآشورية، على سبيل المثال، امتدت في ثقافتها وتفاعلها وسيطرتها وسياستها وتأثيراتها من جنوب شرق بلاد الأناضول شمالاً (تركيا الحالية) إلى بلاد عيلام شرقاً (إيران حالياً) إلى بلاد الشام غرباً (سوريا ولبنان وفلسطين اليوم) ومناطق البحر الأسفل جنوباً (الخليج العربي حالياً) بل امتدت إلى بلاد النيل المعروفة بمصر السفلى والعليا (مصر والسودان اليوم)[٤٤]. وأبرز دليل على الامتداد الحضاري الواصل لهذه الرقعة الجغرافية الواسعة هو أعمال ومنجزات الملوك الآشوريين البنائية والعمرانية في تلك المناطق، فهو دليل على وجود هذه الحضارة وسيطرتها وامتداد رقعتها الجغرافية والحضارية خارج الحدود السياسية المعاصرة[٤٥]؛ وأنَّ لها تأثيراً سياسياً وثقافياً ممتداً، بدليل آخر، وهو استعمال اللغة الأكديّة لغةً رسمية دبلوماسية في مراسلات ومخاطبات السلطات الحاكمة في حضارات الشرق الأدنى القديمة[٤٦].

ويبدو أنَّ استعمال هذه المصطلحات والتسميات جاء متأثراً بشكلٍ كبير بالحالة السياسية والتقسيمات الإدارية والسياسية في العصور الحديثة؛ فيلاحظ على الدراسات التي تتناول الحضارة الآشورية -أُنموذج المثال-، التَّي كانت عواصم مملكتها في الجزء الشمالي من العراق الحالي[٤٧]، بأنَّها حضارة مقتصرة في حدودها الحضارية والسياسية والثقافية في حدود دولة العراق الحالية اليوم، وبالتحديد في الجزء الشمالي منه فقط؛ وبطريقةٍ تُحسَّس القارئ بأنَّ القسم الشمالي من دولة العراق الحالية هي حدود الحضارة الآشورية قديماً، ويمكن ملاحظة أنَّ أية دراسات تتعلق بالحضارة الآشورية في رقعة جغرافية تتعدى الحدود السياسية الحديثة، لدولة

العراق اليوم، تأخذ طابع التأثيرات الخارجية مع البلدان المجاورة! وكأنَّ هذه الحدود هي تقسيمات سياسية قديمة لا حديثة! وبالتأكيد فإنَّ في ذلك انتقاص وتحجيم لسعة الحضارة الآشورية وانتشارها الثقافي في حدود حضارية ثقافية وصلت وقتذاك الى مساحة جغرافية تعادل أضعاف المساحة التي توحي بها تلك الدراسات الحديثة.

وعليه، وجب أنَّ يكون استعمال المصطلحات والتسميات، للدلالة على أَية حضارة قديمة، يكون بحدودها الإدارية والسياسية التأريخية والعسكرية والثقافية القديمة لا الحديثة؛ ومن دون تقييدها في حدود إدارية وسياسية حالية؛ أي وبمعنى آخر عدم استعمال التسميات الحديثة للدلالة على الامتدادات الحضارية القديمة. لذا فإنَّ استعمال مصطلح (بلاد الرافدين) للدلالة على جغرافية كل الحضارات التي نشأت وتفاعلت وتطورت على رافدي دجلة والفرات منذ القدم، والمشتملة على تأثيراتها وتوسعها الثقافي والحضاري وامتداداتها الجغرافية، يمكن أنَّ يكون هو الأدق من حيث الاستعمال والدلالة الحضارية.

وفي السياق نفسهِ، يستعمل الكثير من الباحثين مصطلح (العراقيون القدماء) بوصفهِ تسمية تدل على كل الشعوب التي سكنت بلاد الرافدين قديماً بجميع تبعياتها وأصولها وهويتها الحضارية والثقافية والقومية؛ وهذا الاستعمال أيضاً يشابه في خطأه خطأ استعمال مصطلح تسمية (العراق القديم).

أنَّ أحد أَبرز مميزات الحضارات في بلاد الرافدين هو تنوعها الثقافي والأثني قديماً؛ فهذه الرقعة الجغرافية، الممتدة من ينابيع نهري دجلة والفرات وروافدهما إلى مصبهما في الخليج العربي، كانت ولا زالت عنواناً لتجمع الكثير من الفئات والتجمعات الإنسانية المتنوعة القادمة من شتى بقاع العالم، سواءً على شكل هجرات لأسباب إجتماعية أو حملات عسكرية، وهذه الجماعات لها أصول وهويات تبعية ثقافية وحضارية متعددة ومتنوعة أيضاً، والعديد من هذه الجماعات تمت تسميتها من الباحثين: (كالسومريين، والأكديين، والبابليين، والآشوريين...الخ) للدلالة عليهم وعلى هويتهم الحضارية والثقافية قديماً.

وبما أنَّ مصطلح تسمية (العراق) هي حديثة العهد نسبياً، والهوية التبعية الثقافية تنتسب لهذا الاسم حديثاً، فمن غير المنطقي من الناحية العلمية أنَّ يتم تسمية تلك الشعوب القديمة بمصطلح (العراقيون القدماء)!، الذّي قد يشير إلى كل من سكن دولة العراق الحديثة من قبلُ، ولا يشير بالضرورة إلى الشعوب السومريّة والأكديّة الآشوريّة والبابليَّة التي عاشت قبل تسمية العراق الحديثة بآلاف السنين؛ فالأَمر بذلك سيكون تسقيطاً للحالة الحديثة على الحالة القديمة وهو ما لا يتفق مع الدراسات الآثارية والتأريخية، فالأَمر يجب أنَّ يكون معكوساً من باب الأَصالة والهوية.

عليه، يبدو أنَّه من الصواب أَن يُستعمل مصطلح (سكان بلاد الرافدين) للدلالة على كل من سكن وعاش وتفاعل في الرقعة الجغرافية التي أُشير لها آنفاً بأن يكون مصطلح تسميتها هو (بلاد الرافدين)؛ فهو بذلك سيدل على الفئات والجماعات والشعوب الإنسانية كافة التي عاشت قديماً بجميع تنوعاتها الثقافية والقومية والحضارية في هذه الرقعة الجغرافية.

مصطلحات حديثة:

في ظل الأزمات الكثيرة التي عانت منها مواقع الموروث الثقافي وعناصرهِ، وأنواعه كافة، المادية وغير المادية والطبيعية، وما تسببت به العوامل البشرية كالنزاعات المسلحة والحروب العسكرية والتخريب والتدمير والتشويه والإهمال، من تأثيرات سلبية تعرضت لها مواقع الموروث الثقافي وعناصره، بشكلٍ مباشر وغير مباشر، فقد استعمل الباحثون العديد من المصطلحات الدالة على الأعمال السلبية، البشرية منها بالتحديد، ضد الموروث الثقافي ومواقعهِ؛ ومن هذه المصطلحات: (التخريب، التدمير، التشويه، الهدم، السرقة ...الخ)، ولكل مصطلحٍ منها دلالة تشير إلى معنى يحدد طبيعة العمل البشري، المتسم بالسلبية، تجاه الموروث الثقافي.

أمَّا في حالة أنَّ يُراد جمع كل تلك المصطلحات الدالة على الأعمال، المشار إليها آنفاً، في مصطلحٍ واحد، فيمكن ذلك عن طريق المصطلح الذي نتبنى تقديمه في دراستنا هذه، ليستعمل ضمن المصطلحات الداخلة في علم الآثار وتخصصات إدارة الموروث الثقافي باللغة العربية، وهو مصطلح (التعرض السلبي) الذي يمكن أنَّ يرادفهُ باللغة الإنكليزية مصطلح أو عبارة (Negative Exposure) أو المصطلح القريب عليه وهو (Negative Actions).

إنَّ استعمال مصطلح التعرض السلبي، سيختزل ويجمع بدلالتهِ، كل الأَفعال والتحركات والنشاطات السلبية المقصودة والموجهة بقصد العبث والتخريب والتشويه والتدمير والتهديم والسرقة، سواءً بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، والتي يتعرض لها الموروث الثقافي بأنواعه كافة.

الاستنتاجات والخاتمة:

هناك فروقات كبيرة بين استعمال المصطلحات ودلالاتها، ضمن المنظومة المعرفية القطاعية الخاصة بعلوم الآثار والتاريخ والحضارة؛ وجب أنَّ ينتبه إليها الباحثون حين كتابة بحوثهم. فبما أنَّ المصطلحات تمثل مفاتيح العلوم وأدواتها المعرفية، فإنَّ أهميتها في تنظيم وبناء المفاهيم وبنائها تبعاً لسياق الأنماط المعرفية، يستند على استعمالها بالدلالة الصحيحة لها والمتطابقة مع المنظومة المعرفية، التي تمنع الالتباس والتغيير في المعنى والفهم الدلالي، فمصطلحات أساسيَّة في علوم الآثار والتاريخ والحضارة كمصطلح (الآثار) وجب أنَّ يُستعمل للدلالة على كل أنواع الآثار المادية منها وغير المادية، والدالة على كل ما صنعتهُ يد الإنسان وأنتجهُ فكره، ووجب أنَّ يتم التفريق بين مصطلحي (التنقيبات) و(الحفريات) اللذين يشيران إلى دلالات مختلفة حين الاستعمال؛ كما هي الحال في المصطلحات الوصفية (الآثاري) و(الأثري)، وهذا الأمر ينطبق كذلك على مصطلحات (التراث، الموروث، الإرث) في تحديد دلالتها تبعاً لاستعمالها للوصول للفهم الصحيح لها؛ وتتشابه معها في ذلك مصطلحات حضارية كثيرة الاستعمال في البحوث المختصة ومنها مصطلحات (الثقافة، الحضارة، المدنية) والمصطلحات الدالة على النظام السياسيّ والإداريّ كمصطلحات: (إمبراطورية، مملكة، دولة) التَّي وجب أن تستعمل بالدلالة التي تشير إلى نوع نظام الحكم بشكلٍ دقيق. فضلاً عن المصطلحات التي تشير إلى الزمان كـ (حِقبة، عصر، مدة، فترة) وجب أن تُستعمل بالشكل الدال على مقدار الزمن بالشكل الصحيح والدقيق والدال على المتغيرات والتطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، ولا يقل الموضوع أهمية في استعمال المصطلحات التي تشير للمكان كالتسميات الحضارية ذات الدلالات الجغرافية والتاريخية، التي يجب أنَّ تتطابق والحالة الثقافية والسياسية والاجتماعية القديمة للمكان.

عليه، وبناءً على سبق، وجب ضرورة أنَّ يتم تدقيق كل المصطلحات المستعملة في الدراسات والبحوث، لما يتوافق ودلالتها الصحيحة، كما سيكون من المفيد أَن يتم في جامعاتنا العراقية توحيد المصطلحات واعتمادها ضمن المناهج الدراسية المختصة في أَقسام علوم الآثار والتاريخ والحضارة ضمن الجامعات الأكاديمية، ولاسيَّما في رسائل وأَطاريح دراساتها العليا.

الهوامش:

[١]– ويقصد بها الدلالات والمفاهيم للمصطلحات كافة؛ الخاصة بقطاع وحقل أو اختصاص أكاديمي معين؛ إذ يحمل كل مصطلح حين قيامه في علم من العلوم على سمات مفهومية، تجعله يتكون ضمن منظومة محددة المفاهيم والخصائص الثقافية. للمزيد ينظر: – عبد الوهاب حنك، عيسى لحيلح، "المصطلح العربي–منظومته المفهومية، وخصوصياته الثقافية–"، حوليات الاداب واللغات، الجزء ٨، العدد ٣، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ص٩٠– ص١٠٣.

[٢]– ينظر على سبيل المثال: – محمود تيمور، معجم الحضارة، القاهرة، ١٩٦١. – المجمع العلمي العراقي، ألفاظ حضارية، بغداد، ١٩٩٨. – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، القاهرة، ١٩٨٠. – عبد الكريم خليفة، المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة، دراسة وزعها مجمع اللغة العربية الأردني، ونشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٨٧، القسم الأول، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٣٧–٧١.
– عبد الله أمين أغا، معجم مصطلحات آثارية وعمارية حقلية وما يقابلها بالعربية والإنكليزية، بغداد، ٢٠١٤.

[٣]– ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠١٩، ص١٠٣ ومابعدها.

[٤]– مع ملاحظة أنَّ عملية توحيد المصطلحات قد تبدو عملية صعبة الثبات في ظل التغييرات والتطورات واختلاف الآراء والمدارس والمنهجيات الأكاديمية.

[٥]– مع ملاحظة أنَّ المصطلحات المعتمدة في التخصصات الأكاديمية الإنسانية والاجتماعية لا يوجد معنى ثابت ووحيد لها، لأنَّ هذه التخصصات بخلاف العلوم الطبيعية، لا تعط تعريفاً دقيقاً ثابتاً لمصطلحاتها التي تتقبل التحليل والنقاش والاجتهاد المتنوع في المفاهيم.

[٦]– للتفصيل ينظر: – الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة ٤، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٤. ينظر أيضاً: – عبد الملك مرتاض، "صناعة المصطلح في العربية"، مجلة اللغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، الجزائر، ١٩٩٩، ص١١– ص٣١.

[٧]– منى احمد الشاوي، تانك سيبورا تانكو مهادي، "استراتيجيات ترجمة المصطلح من العربية إلى الانجليزية وبالعكس"، مجلة أمارباك، المجلد ٣، العدد ٦، ٢٠١٢، ص١٣٩.

[٨]– علي القاسمي، المصدر السابق، ص١٠٧.

[٩]– للمزيد ينظر: أبي عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣.

[١٠]– ليث عبد الحسين العتابي، "التحقيب المصطلحي وأهميته في فهم حقيقة استعمال المصطلح"، مجلة الولاية، العدد ٨٤، العتبة العلوية المقدسة–النجف الأشرف، ٢٠١٤، ص٧٩.

[١١]– رميض مطر حمد، "مفهوم التشاكل بين التراث والمعاصرة: دراسة في إشكالية المصطلح وفاعليته"، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد ١٢، الأنبار، ٢٠١٣، ص١٦.

[١٢]– خديجة زبار عنيزان، سلمى داود سلمان، "السياق وأثره في الدلالة اللغوية"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد ٤٠، مركز إحياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١٩، ص٩.

[١٣]– بهنام أبو الصوف، التأريخ من باطن الأرض آثار وحضارات وأعمال ميدانية، عمان، ٢٠٠٩، ص٥٤.

[١٤]– ويرمز لها عالمياً (OUV) ودائماً ما يتم تحديد ذلك تبعاً لقانون وتشريعات الآثار الخاصة بكل بلد.

[١٥]– عمر جسام العزاوي، موجز علم الآثار، بيروت، ٢٠١٣، ص٨–٩.

(16)– Colin Renfrew and Paul Bahn, Archaeology Theories Methods and Practice, seventh edition, New York, 2016, p: 110.

(١٧)– أبرز أمثلتها هي الحفريات الأولى التي بدأت في القرن التاسع عشر الميلادي، في بعض مواقع الآثار في العراق، وكانت عبارة عن نبش وحفر غير منتظم يختصر الوقت والجهد والمال من أجل إيجاد الكنوز الأثرية، ولازال الحال إلى اليوم في الحفريات غير الشرعية التي تحدث في مواقع الآثار المنتشرة في العالم. للمزيد ينظر: عمر جسام العزاوي، علم الآثار في العراق نشأته وتطوره، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٤ وما بعدها.

(١٨)– ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، بيروت، د:ت، ص٦٩.

(١٩)– تنظر المادة المرقمة (٤/ سابعاً) من قانون الآثار والتراث العراقي رقم ٥٥ لسنة ٢٠٠٢ النافذ. تم الاعتماد على قانون الآثار والتراث العراقي لتحديد المدة الزمنية للآثار في هذه الدراسة لتشابه أغلب قوانين الآثار العربية في تحديد هذا العمر الزمني، مع وجود بعض الاستثناءات في قوانين بعض البلدان بحسب تاريخها وأصالة وعمق حضارتها زمنياً.

(20) - Phyllis Mauch Messenger and George S. Smith, Cultural Heritage Management: A Global Perspective, University Press of Florida, 2010.

(٢١)– منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (The United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization).

(٢٢)– ينظر: حسان سلامه سركيس، الأرخيولوجيا منهجيات–مراحل–إشكاليات، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٦.

(٢٣)– حدد قانون الآثار والتراث العراقي المواد التي تعد من التراث بعمر زمني يقل عن ٢٠٠ سنة، والآثار بعمر زمني يزيد عن ٢٠٠ سنة؛ للمزيد تنظر المادة المرقمة (٤/سابعاً وثامناً) من قانون الآثار والتراث العراقي رقم ٥٥ لسنة ٢٠٠٢ النافذ.

(٢٤)– للمزيد ينظر: هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة: ميخائيل خوري، بيروت، ١٩٥٩، ص١٣ ومابعدها.

(٢٥)– تعددت وتنوعت تعاريف ومفاهيم 'الثقافة'، من جوانب فلسفية وثقافية وحضارية ولغوية، بتعدد وتنوع الباحثين ومفاهيمهم وتخصصاتهم وآرائهم حول ذلك. للمزيد ينظر: – عبد الكريم غلاب، لا مفهوم للثقافة، الرباط، ١٩٩٩.

(٢٦)– للمزيد ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠، ص٢٠ وص٧٤.

(٢٧)– ينظر: بدران بن لحسن، "مفهوم الحضارة: دراسة تحليلية مقارنة عبر الثقافات"، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد ٧، العدد ٢، الجزائر، ٢٠٢١، ص١٥٨–١٧٨.

(٢٨)– علي القاسمي، المصدر السابق، ص١١١–ص١١٤.

(29) - Peter A. Corning, and Others, "Political Development and Political Evolution", **Politics and the Life Sciences**, Vol. 6, No. 2, Cambridge University Press, 1988, pp. 141-172.

(٣٠)– ينظر: سامي سعيد الأحمد، "الإدارة ونظام الحكم"، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص٧–٣٨.

(٣١)– ينظر: محمد حسين نصر، "مفهوم الدولة"، مجلة العلوم الإنسانية–جامعة سبها، المجلد ١٤، العدد ١، ليبيا، ص٨٧–١٠٠.

(32) - Stephen Howe, Empire: A Very Short Introduction, Oxford University Press, 2002.

(٣٣)– قد تتفق الحالة السياسية والإدارية للسلطات في هذه الممالك مع مفهوم الامبراطورية، في بعض أوقاتها، ولاسيما حين السيطرة على بعض الأقاليم المجاورة لمركز الحكم، إلا أنَّ الحالة الإدارية الثابتة للسلطة والحكم هي نظام ملكي.

(٣٤)– محمد حمزة حسين، "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، مجلة آداب الرافدين–جامعة الموصل، المجلد ٣٨، العدد ٥٠، موصل، ٢٠٠٨، ص٣٠١–٣٢٦. كذلك ينظر: محمد صالح طيب صادق الزيباري، "النظام الملكي في العراق القديم: دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري"، رسالة ماجستير، بإشراف: د. جابر خليل إبراهيم، كلية الآداب–جامعة الموصل، ١٩٨٩.

(35) - Barbara N. Porter, Images, Power, and Politics: Figurative Aspects of Esarhaddon's Babylonian Policy, American Philosophical Society, 1993, p. 97.

(٣٦)– الفرق بين 'الحقبة' و'السنة': أنَّ السنة تُفيد أنها جمع شهور، أمَّا الحقبة فتفيد أنها ظرف لأعمال ولأمور تجري فيها؛ وهي بذلك تُفيد غير الذي تُفيدهُ السنة. للمزيد ينظر: أبن هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، د:ت، ص٢٧٢.

(٣٧)– القرآن الكريم، سورة النبأ، الآية: ٢٣.

(٣٨)– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٤٥٣ح ق ب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٥٢٨.

(٣٩)– أحمد مختار عمر، المجلد الأول، المصدر السابق، ٣٣٨٨ ع ص ر، ص٢٠٧٨.

(٤٠)– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، ٤٧٦٥ م د د، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٢٠٧٨.

(٤١)– أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، المجلد الأول، القاهرة، ٢٠٠٨، ٣٧٨٨ فترة، ص٥٧١.

(٤٢)– ابن هلال العسكري، المصدر السابق، ص١١٧.

(٤٣)– ومن المعلوم أنَّ ترسيم الحدود جاء تبعاً للمعاهدات الدولية بعد هذه الحرب؛ فتشكلت في منطقة الشرق العديد من الدول ذات الحدود السياسية والعسكرية، والتي كانت قديماً أرضاً واحدةً منذ الآف السنين لا يفصلها حدود مصطنعة وإنما كانت تُحدد تبعاً للسيطرة والتبعية السياسية والعسكرية ومفهوم القوة وقتذاك. ينظر: بلقيس محمد جواد، "قراءة في تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١ الأهداف والنتائج"، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٤١، ٢٠١٠، ص١٠٩.

(٤٤)– عامر سليمان، العراق في التأريخ القديم–موجز التأريخ السياسي–، الجزء الأول، موصل، ٢٠١٠، ص٢١٥ ومابعدها.

(٤٥)– ينظر: أحمد زيدان الحديدي، "منجزات الملوك الآشوريين العمارية في البلدان المجاورة مابين ٩١١– ٦١٢ ق.م"، مجلة دراسات تاريخية–جامعة البصرة، المجلد ١، العدد ١٥، البصرة، ٢٠١٣، ص١٤–٥٤.

(٤٦)– عامر سليمان، اللغة الاكدية، موصل، ٢٠٠٥، ص١٠٢–١٠٤.

(٤٧)– للمزيد ينظر: قيس حازم توفيق، العواصم الآشورية دراسة في الجغرافية التأريخية للمدينة الاشورية، بغداد، ٢٠٢١.

Bibliography of Arabic References:

- Abdel Karim Ghallab, No Concept of Culture, Rabat, 1999. (In Arabic).
- Abdel-Wahab Hanak, Issa Lahilah, "The Arabic Term - Its Conceptual System and Cultural Specificities," Annals of Arts and Languages, Vol. 8, Issue 3, Mohamed Boudiaf University, Algeria. (In Arabic).
- Abdul Karim Khalifa, The Unified Arabic Dictionary of Civilization Words, a study distributed by the Jordanian Arabic Language Academy, and published in the Journal of the Arabic Language Academy in Cairo, No. 87, First Section, Cairo, 2000. (In Arabic).
- Abdul Malik Murtad, "The Making of Term in Arabic," Arabic Language Journal, Publications of the Supreme Council of the Arabic Language in Algeria, Algeria, 1999. (In Arabic).
- Abdullah Amin Agha, Dictionary of field archaeological and architectural terms and their equivalents in Arabic and English, Baghdad, 2014. (In Arabic).
- Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Yusuf Al-Khawarizmi, Keys to Science, edited by: Noha Al-Najjar, first edition, Beirut, 1993. (In Arabic).
- Ahmed Mukhtar Omar, Dictionary of Contemporary Arabic Language, Vol. 3, First Edition, Cairo, 2008. (In Arabic).
- Ahmed Mukhtar Omar, Dictionary of Linguistic Correctness, Vol. 1, Cairo, 2008. (In Arabic).
- Ahmed Mukhtar Omar, Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Volume One, First Edition, 1453 BC, Cairo, 2008. (In Arabic).
- Ahmed Zidan Al-Hadidi, "Architectural Achievements of the Assyrian Kings in Neighboring Countries between 911-612 BC," Journal of Historical Studies - University of Basra, Volume 1, Issue 15, Basra, 2013. (In Arabic).
- Ali Al-Qasimi, Terminology, Its Theoretical Foundations and Practical Applications, second edition, Beirut, 2019. (In Arabic).
- Al-Sharif Al-Jurjani, The Book of Definitions, edited by: Ibrahim Al-Ebiary, 4th edition, Beirut, 1998. (In Arabic).

- Amer Suleiman, Iraq in Ancient History - Brief Political History -, Part 1, Mosul, 2010. (In Arabic).

- Badran Ben Lahcen, “The Concept of Civilization: A Cross-Cultural Comparative Analytical Study,” Anthropology Journal, Volume 7, Issue 2, Algeria, 2021. (In Arabic).

- Balqis Muhammad Jawad, “A Reading of the Establishment of the Iraqi State in 1921, Objectives and Results,” Journal of Political Science, University of Baghdad, No. 41, 2010. (In Arabic).

- Behnam Abu Al-Souf, History from the Underground, Antiquities, Civilizations, and Field Works, Amman, 2009. (In Arabic).

- Hassan Salamah Sarkis, Archeology Methodologies - Stages - Problems, Beirut, 2003. (In Arabic).

- Henry Frankfurt, The Dawn of Civilization in the Near East, translated by: Michael Khoury, Beirut, 1959. (In Arabic).

- Ibn Hilal Al-Askari, Linguistic Differences, edited by: Muhammad Ibrahim Salim, Cairo. (In Arabic).

- Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Part One, Third Edition, Beirut. (In Arabic).

- Iraqi Scientific Academy, Civilized Words, Baghdad, 1998. (In Arabic).

- Khadija Zabbar Anizan, Salma Daoud Salman, “Context and its Impact on Linguistic Significance,” Arab Scientific Heritage Journal, Issue 40, Center for the Revival of Arab Scientific Heritage - University of Baghdad, Baghdad, 2019. (In Arabic).

- Laith Abdul Hussein Al-Attabi, “Terminological interpretation and its importance in understanding the reality of the use of the term,” Al-Wilaya Magazine, No. 84, Al-Alawi Holy Shrine - Al-Najaf Al-Ashraf, 2014. (In Arabic).

- Mahmoud Taymur, Dictionary of Civilization, Cairo, 1961. (In Arabic).

- Malek Bennabi, The Problem of Culture, Damascus, 2000. (In Arabic).

- Mona Ahmed Al-Shawi, Tank Sipora Tanko Mahadi, “Strategies for Translating Terminology from Arabic to English and Vice Versa,” Amarabak Magazine, Volume 3, Issue 6, 2012. (In Arabic).

- Muhammad Hamza Hussein, “The Most Important Badges of Royalty in Ancient Iraq,” Al-Rafidain Journal of Arts - University of Mosul, Volume 38, Issue 50, Mosul, 2008. (In Arabic).
- Muhammad Hussein Nasr, “The Concept of the State,” Journal of Humanities - Sebha University, Volume 14, Issue 1, Libya. (In Arabic).
- Muhammad Saleh Tayyab Sadiq al-Zibari, “The Monarchy in Ancient Iraq: A Comparative Study with the Egyptian Monarchy,” Master’s thesis, College of Arts, University of Mosul, 1989. (In Arabic).
- Omar Jassam Al-Azzawi, Archeology in Iraq: Its Origins and Development, Beirut, 2013. (In Arabic).
- Omar Jassam Al-Azzawi, Brief Archeology, Beirut, 2013. (In Arabic).
- Qais Hazem Tawfiq, The Assyrian Capitals: A Study in the Historical Geography of the Assyrian City, Baghdad, 2021. (In Arabic).
- Rumayd Matar Hamad, “The Concept of Confusion between Heritage and Contemporary: A Study of the Problematic of the Term and Its Effectiveness,” Anbar University Journal of Languages and Literature, No. 12, Anbar, 2013. (In Arabic).
- Sami Saeed Al-Ahmad, “Administration and Ruling System,” Iraqi Civilization, Part 2, Baghdad, 1985. (In Arabic).